

حجراتنا ملاحمة في حجراتنا ميتحة فضية

٢٠٠٠



المصدر المعتمد في هذه الترجمة

A Contribution to the History of the Question of the Dictatorship,

LCW, 31:340-361, 2nd ed.

قضية دكتاتورية البروليتاريا هي القضية الأساسية عند الحركة البروليتارية المعاصرة في جميع البلدان الرأسالية دون استثناء. ولاستيعاب هذه القضية على نحو شامل، لا بد من معرفة تاريخها. لقد تزامن تاريخ مذهب الدكتاتورية الثورية بوجه عام، ومذهب دكتاتورية البروليتاريا بوجه خاص، مع تاريخ الاشتراكية الثورية، وبالأخص مع تاريخ الماركسية في العالم أجمع. أكثر من ذلك، فما له أعظم أهمية، أن تاريخ جميع ثورات الطبقات المضطهدة والمستغلة ضد المستغلين، إنما يقدم المواد والمصادر الأساسية لاستيعاب قضية الدكتاتورية. لذا، فإن الإخفاق في فهم كيف أن الدكتاتورية أمر جوهري في انتصار أية طبقة ثورية إنما يعني عدم فهم تاريخ الثورات أو عدم الرغبة في فهم أي أمر في هذا المجال.

وإذ تناول روسيا، فإننا نعطي أهمية خاصة، في مجال نظرية، إلى برنامج حزب العمال اشتراكي الديمقراطي الروسي على النحو الذي صاغته هيئة تحرير جريدتي الفجر والشرارة في 1902-1903، أو بصورة أدق، الذي صاغه بليخانوف وعدلته وحرّره وأقرّته هيئة التحرير تلك. ولقد طُرحت قضية دكتاتورية البروليتاريا بعبارات واضحة ومحدّدة، فضلا عن ربطها بالنضال ضد برنشتاين وضد الانتهازية. لكن الأهم من كل ذلك، إنما هو بالطبع تجربة الثورة، أي في حالة روسيا، تجربة عام 1905.

كانت الأشهر الثلاثة الأخيرة من ذلك العام (أكتوبر ونوفمبر وديسمبر) فترة نضال جماهيري مباشر قوي وواسع بشكل ملحوظ، وهي الفترة التي شهدت مزيجا لأقوى طريقتين في ذلك النضال: الإضراب السياسي الجماهيري والانتفاضة المسلحة. (وأشير بين قوسين أنه منذ ماي 1905، أعلن المؤتمر البلشفي، «المؤتمر الثالث لحزب العمال اشتراكي-الديمقراطي الروسي»، أن «مهمة تنظيم البروليتاريا للنضال مباشر ضد الاستبداد عن طريق الانتفاضة المسلحة كانت «إحدى مهمات الحزب الرئيسية والأكثر إلحاحا»، وقُدّمت تعليمات لجميع المنظمات الحزبية «لشرح ما للإضرابات السياسية الجماهيرية من أهمية كبيرة عند بدء الانتفاضة وخلال تطورها». (لينين: مسودة قرارات للمؤتمر الثالث لحزب العمال اشتراكي الديمقراطي الروسي، فيفري 1905))

فلأول مرة في التاريخ العالمي، يبلغ النضال ثوري مثل ذلك الطور العالي من التطور، وكان ذلك الزخم قد جعل الانتفاضة المسلحة تندمج بذلك السلاح البروليتاري على وجه التحديد، ألا وهو الإضراب الجماهيري. ومن الواضح أن لهذه التجربة أهمية عالمية بالنسبة لجميع الثورات البروليتارية. ولقد درسها البلاشفة بأكبر قدر من الاهتمام والاجتهاد من جانبها السياسي والاقتصادي. وسأشير إلى تحليل للإحصائيات الشهرية للإضرابات الاقتصادية والسياسية في عام 1905 والعلاقة بينها، ومستوى التطور الذي بلغه نضال إضراب لأول مرة في التاريخ العالمي. لقد نشرت ذلك التحليل في عامي 1910 و1911 في مجلة الثقافة [مجلة بلشفية - نبع]، وكان يدرج ملخصه في الدوريات البلشفية الصادرة في الخارج في ذلك الوقت.

أثارت الإضرابات الجماهيرية والانتفاضة المسلحة، بطبيعة الحال، قضية السلطة الثورية والدكتاتورية، لأن هذه الأشكال من النضال تؤدي حتماً - في البداية على نطاق محلي - إلى طرد رجال حكم القديم، وإستيلاء البروليتاريا والطبقات الثورية الأخرى على السلطة، وطرده المالكين العقاريين، والاستيلاء على المصانع أحياناً، وما شابه ذلك من الأعمال. لقد أدى النضال الجماهيري الثوري حينئذ إلى ظهور منظمات لم تكن معروفة من قبل في التاريخ العالمي، ألا وهي سوفيات نواب العمال، تلتها سوفيات نواب الجنود، ولجان الفلاحين، وما شابه ذلك من المنظمات. وهكذا فإن القضايا الأساسية (السلطة السوفيتية ودكتاتورية البروليتاريا) التي تشغل الآن عقول العمال واعين في العالم أجمع كانت قد طُرحت بشكل عملي في نهاية عام 1905. وبينما الممثلين البارزين للبروليتاريا الثورية والماركسية غير المزيفة مثل روزا لوكسمبورغ، أدركوا على الفور أهمية هذه التجربة العملية وقاموا بتحليل نقدي لها في الاجتماعات وفي الصحافة، فإن الغالبية العظمى من الممثلين الرسميين للأحزاب الاشتراكية-الديموقراطية الرسمية والاشتراكية - بما في ذلك الإصلاحيين وأشخاص من طراز "الكاوتسكيين" و"الونجيتيون" المستقبليين وأتباع هيلكويت في أمريكا، إلخ - أثبتوا أنهم غير قادرين تماماً على إدراك أهمية هذه التجربة وعلى أداء واجبهم كثوريين، أي العمل على دراسة هذه التجربة ونشر دروسها.

شرح كل من البلاشفة والمناشفة، مباشرة إثر هزيمة الانتفاضة المسلحة في ديسمبر 1905 في روسيا، في العمل على تلخيص هذه التجربة. وقد جرى تسريع هذا العمل على نحو خاص من خلال ما أطلق عليه مؤتمر الوحدة لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي الذي انعقد في ستوكهولم في أبريل 1906، حيث كان كل من المناشفة والبلاشفة ممثلين فيه وموحدين شكليا. وقد جرت أكثر الاستعدادات نشاطا لهذا المؤتمر من جانب الفريقين. ولقد نشر كلاهما، في أوائل عام 1906، قبل المؤتمر، مسودات قراراتهما في جميع القضايا الأكثر أهمية. وتوفر مشاريع القرارات تلك أهم مادة لدراسة القضية كما كانت حينئذ (ولقد أعيد طبعها في كراسي المعنون تقرير عن مؤتمر الوحدة لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، (رسالة إلى عمال سانت بطرسبرغ)، موسكو، 1906 (110 صفحة، نصفها تقريبا تناولت مشاريع قرارات كلا الفريقين والقرارات التي أقرها المؤتمر أخيرا)).

بحلول ذلك الوقت، كانت الخلافات حول أهمية السوفييت مرتبطة بالفعل بقضية الدكتاتورية. أثار البلاشفة قضية الدكتاتورية حتى قبل ثورة أكتوبر 1905 (أنظر كراسي المعنون خطتنا الاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية، جنيف، يوليو 1905. أعيد طبعه في مجلد من مجموعة مقالات اثنتي عشر سنة). اتخذ المناشفة موقفا سلبيا من شعار "الدكتاتورية". في حين أكد البلاشفة أن سوفييتات نواب العمال «كانت في الواقع جنينا لسلطة ثورية جديدة»، كما ورد حرفيا في مشروع القرار البلشفي (ص 92 من تقرير). اعترف المناشفة بأهمية السوفييتات. كانوا يؤيدون "المساعدة في تنظيمها"، وما إلى ذلك، لكنهم لم ينظروا إليها على أنها جنين للسلطة الثورية، ولم يذكروا، بشكل عام، أي شيء عن هذه «السلطة الثورية الجديدة» أو عن نوع مشابه، ورفضوا رفضا قاطعا شعار الدكتاتورية. ويتضح بسهولة أن هذا الموقف من القضية كان قد احتوى بالفعل على بذور كل الخلافات الحالية مع المناشفة. كما يمكن أن نلاحظ بسهولة أن المناشفة (سواء كانوا روسيين أو غير روسيين مثل الكاوتسكيين واللونغوين وغيرهم)، في موقفهم من هذه القضية، إنما يتصرفون كإصلاحيين وانتهازيين، يعترفون بالثورة البروليتارية في الأقوال ورفضون ما هو أساسي وجوهري في مفهوم "الثورة" في الأفعال.

لقد قمت، منذ قبل ثورة 1905، في كراسي المذكور أعلاه (خطتان)، بتحليل حجج المناشفة الذين اتهموني بـ "استبدال غير ملحوظ «للدكتاتورية» بـ «الثورة»" (اثنى عشر سنة، ص 459). لقد أوضحت بالتفصيل أن المناشفة، بهذا الاتهام بالذات، كشفوا عن انتهازيتهم، وطبيعتهم السياسية الحقيقية، كونهم متملقين للبرجوازية الليبرالية وأداة نفوذها في صفوف البروليتاريا. لقد قلت: عندما تصبح الثورة قوة لا جدال فيها، يشرع حتى معارضوها في "الاعتراف بها". وقد أشرت (في صيف 1905) إلى مثال ليبراليين الروس الذين ظلوا أنصارا للملكية الدستورية. والآن، في عام 1920، يمكن للمرء أن يضيف أن البرجوازيين الليبراليين في ألمانيا وإيطاليا – أو على الأقل أولئك الأكثر تعليما وذكاء منهم – مستعدون "للاعتراف بالثورة". ولكن "الاعتراف" بالثورة، وفي ذات الوقت، رفض الاعتراف بدكتاتورية طبقة محددة (أو طبقات محددة)، فإن الليبراليين والمناشفة الروس وقتئذ، والليبراليين الألمان والإيطاليين الآن، أنصار توراتي وكاوتسكي، إنما يكشفون عن إصلاحيتهم وعدم أهليتهم المطلقة لأن يكونوا ثوريين.

وبالفعل، عندما تصبح الثورة حقا قوة لا جدال فيها، وعندما "يعترف" الليبراليون بها، وعندما لا ترى الطبقات الحاكمة القوة التي لا تقهر للجاهير المضطهدة فحسب، بل تشعر بتلك القوة أيضا، فإن القضية بأكملها تختصر – عند كل من المنظرين وقادة السياسة العملية – في تحديد طبقي دقيق للثورة. لكن دون مفهوم «الدكتاتورية»، لا يمكن صياغة ذلك التحديد الطبقي الدقيق. ولا يمكن للمرء أن يكون ثوريا بالفعل ما لم يستعد للدكتاتورية. لم يفهم المناشفة هذه الحقيقة في عام 1905. والآن في عام 1920، لم يفهمها الاشتراكيون الإيطاليون والألمان والفرنسيون وغيرهم الذين يخشون «الشروط» القاسية التي وضعتها الأممية الشيوعية. فهذه الحقيقة إنما يخشاها أناس قادرون على الاعتراف بالدكتاتورية قولا، لكنهم غير قادرين على الاستعداد لها فعلا. لذلك لن يكون من غير المهم أن أقتبس كامل شرح آراء ماركس، التي كنت قد نشرتها في جويلية 1905 لأعارض بها مناقشة روسيا، ولكنها تنطبق أيضا على مناقشة أوروبا الغربية. الآن في عام 1920. (بدلا من إعطاء عناوين الصحف وما إلى ذلك، سأقتصر على التنصيص على ما إذا كنت أشير إلى المناشفة أو إلى البلاشفة).

«في ملاحظاته على مقالات ماركس في الجريدة الرينانية الجديدة لعام 1848، يذكر ميرينغ أن مما تضمنه اللوم الذي وجهته المطبوعات البرجوازية إلى هذه الجريدة، أنها طالبت بالإدراج الفوري للدكتاتورية كوسيلة وحيدة لتحقيق الديمقراطية». (ماركس، السجلات، المجلد الثالث، ص 53).

مصطلحا الدكتاتورية والديمقراطية من وجهة النظر البرجوازية المبتدلة متنافيان. فبعد أن أخفق البرجوازيون في فهم نظرية الصراع الطبقي واعتيادهم على رؤية الخلاف التافه بين مختلف المجموعات والزمم البرجوازية في الساحة السياسية، فهموا الدكتاتورية على أنها إلغاء جميع الحريات وضمانات الديمقراطية، والتعسف من كل نوع وإساءة استخدام السلطة تلبية لمصالح الدكتاتور الشخصية.

وبالفعل، هذه النظرة البرجوازية المبتدلة هي بالضبط ما يجب أن نلاحظه عند المناشفة الذين يعتبرون انحياز البلاشفة لشعار «الدكتاتورية» كان بسبب «رغبة لينين الشديدة في أن يجزّب حظه». (الشرارة، عدد 103، ص 3، عمود 2).

لكي نشرح للمناشفة معنى مصطلح دكتاتورية الطبقة المختلفة عن الدكتاتورية الشخصية، ومهمات الدكتاتورية الديمقراطية المختلفة عن الدكتاتورية الاشتراكية، لن يكون من الخطأ الإسهاب في عرض آراء الجريدة الرينانية الجديدة.

كُتبت الجريدة الرينانية الجديدة يوم 14 سبتمبر 1848:

«كل تنظيم مؤقت للدولة بعد الثورة يستوجب في ذلك الوقت دكتاتورية، دكتاتورية نشطة. ومنذ البداية، وبخنا كامهاوزن [رئيس الوزارة بعد 18 مارس 1848- لينين] لأنه لم يتصرف بشكل دكتاتوري، لأنه لم يقم فوراً بتحطيم وإزالة ما تبقى من المؤسسات القديمة. وبينما كان هير كامهاوزن يهدئ نفسه بأوهام دستورية، عزز الحزب المهزوم [أي حزب الرجعية- لينين] مواقفه في البروقراطية وفي الجيش، وحتى أنه شرع يغامر بالنضال مكشوف هنا وهناك.» (كارل ماركس: الأزمة والثورة المضادة، الأعمال كاملة باللغة الألمانية، م 5، ص 402، 1952)

«هذه الكلمات الصائبة والقليلة في ملاحظات ميهرينغ إنما تلخص كل ما تم طرحه بالتفصيل في مقالات طويلة في الجريدة الرينانية الجديدة عن وزارة كامهاوزن. ماذا فهم من كلمات ماركس هذه؟ نفهم أن الحكومة الثورية المؤقتة يجب أن تتصرف بطريقة دكتاتورية (وهو اقتراح لم يستطع المناشفة فهمه تماما لأنهم كانوا يجارون في خجل من شعار الدكتاتورية)، وأن مهمة هذه الدكتاتورية هي تدمير بقايا المؤسسات القديمة (وهو بالضبط ما ورد بوضوح في قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال اشتراكي-الديمقراطي الروسي [البلاشفة-لينين] في النضال ضد الثورة المضادة، وتم حذفه في قرار المناشفة كما هو مبين أعلاه). ثالثا، وأخيرا، يترتب عن هذه الكلمات أن ماركس انتقد الديمقراطيين البرجوازيين من أجل ولعهم بـ«الأوهام الدستورية» في فترة الثورة والحرب الأهلية المكشوفة. يتضح معنى هذه الكلمات بشكل خاص من المقال في الجريدة الرينانية الجديدة بتاريخ 6 جوان 1848. فقد كتب ماركس ما يلي:

«يجب أن تكون الجمعية الوطنية التأسيسية قبل كل شيء جمعية نشطة وثرورية نشطة. لكن جمعية فرانكفورت تنشغل بالتدريبات البرلمانية بينما تسمح للحكومة بالتصرف. لنفترض أن هذه الجمعية المكتسبة، وبعد دراسة متأنية، ستجرح في تطوير أفضل أجندة ممكنة وأفضل دستور. لكن ما جدوى أفضل جدول أعمال ممكن وأفضل دستور ممكن إذا كانت الحكومات الألمانية قد وضعت في هذه الأثناء البندقية على جدول الأعمال؟ (كارل ماركس: الأزمة والثورة المضادة، الأعمال كاملة باللغة الألمانية، م 5، ص 40، 1952)

«وذلك هو معنى شعار: الدكتاتورية....»

«لا تحل القضايا الكبرى في حياة الأمم إلا بالقوة. وعادة ما تكون الطبقات الرجعية نفسها هي أول من يلجأ إلى العنف والحرب الأهلية، هي أول من يضع البندقية على جدول الأعمال»، مثلما فعلت الأوتوقراطية الروسية على نحو منهجي وثابت في كل مكان منذ 9 جانفي. فما إنشأ مثل هذا الوضع، وأصبحت البندقية حقا النقطة الرئيسية في الأجندة السياسية، وأثبتت الانتفاضة أنها ضرورية وعاجلة، إلا وأصبحت الأوهام الدستورية والتدريبات البرلمانية مجرد حيلة لحيانة البرجوازية للثورة، حيلة لإخفاء حقيقة أن البرجوازية

“تراجع” عن الثورة. لذا، فشعار الدكتاتورية على وجه التحديد إنما يعني في هذه الحالة أن على الطبقة الثورية حقا أن تتقدم». (لينين: خطتان)

وعلى هذا النحو، فكر البلاشفة في الدكتاتورية قبل ثورة أكتوبر 1905.

ولقد أنجزت، بعد تجربة هذه الثورة، دراسة مفصلة لقضية الدكتاتورية في الكراس المعنون انتصار الحزب الديمقراطي الدستوري (الكاديت) ومهمات حزب العمال، سان بطرسبرغ، 1906 (الكراس مؤرخ في 28 مارس 1906). سأقتبسهم الحجج الواردة في هذا الكراس مع الاستعاضة فقط عن عدد من أسماء الأشخاص بإشارة بسيطة إلى ما إذا كانت الإشارة إلى الكاديت أو المناشفة. لقد كان ذلك الكراس، بوجه عام، موجها ضد حزب الكاديت، وجزئيا أيضا ضد الليبراليين غير الحزبيين وأشبه الكاديت وأشبه المناشفة. ولكن، في الواقع، كل ما ذكر فيه عن الدكتاتورية إنما ينطبق في الواقع على المناشفة الذين كانوا ينزلون باستمرار نحو موقف حزب الكاديت من هذه القضية.

«في الوقت الذي كان يخفت فيه إطلاق النار في موسكو وعندما كانت دكتاتورية الجيش والشرطة تنغمس في طقوس العريضة الوحشية وعندما كان القمع والتعذيب الجماعي في أوجهما في جميع أنحاء روسيا، ارتفعت الأصوات في صحافة حزب الكاديت ضد استخدام القوة من جانب اليسار وضد لجان الإضراب التي تنظمها الأحزاب الثورية. وشرع أساتذة حزب الكاديت في استبدال ترجمة كلمة «دكتاتورية» بعبارة «تعزير الأمن». حتى أن رجال علم” أولئك شوهوا اللغة اللاتينية في مدرستهم الثانوية من أجل تشويه سمعة النضال ثوري. رجاء، لاحظوا مرة وإلى الأبد، أيها السادة في حزب الكاديت، أن الدكتاتورية تعني سلطة غير محدودة، قائمة على القوة وليس على القانون. في الحرب الأهلية، لا يمكن لأي قوة منتصرة إلا أن تكون دكتاتورية. لكن بيت القصيد هو أن هناك دكتاتورية الأقلية على الأغلبية، دكتاتورية حفنة من ضباط الشرطة على الشعب. وهنالك دكتاتورية الغالبية العظمى من الشعب على حفنة من الطغاة واللصوص والمغتصبين لسلطة الشعب. من خلال تشويههم المبتذل مفهوم «الدكتاتورية» العلمي، من خلال صيحاتهم ضد عنف اليسار في الوقت الذي يلجأ فيه اليمين إلى العنف الأكثر فظاعة وخروجا عن القانون، قدم السادة في حزب الكاديت دليلا صارخا على موقف “المساومة” من النضال ثوري المكثف. عندما

يندلع الصراع، يهرع "المساوم" بجنون بحثا عن غطاء. عندما ينتصر الشعب الثوري (17 أكتوبر)، يخرج "المساوم" من مخبأه، ويتباهى بنفسه، ويصبح ويمتف قائلا: "كان ذلك إضرابا سياسيا مجيدا!" ولكن عندما يكون النصر حليف الثورة المضادة، يبدأ "المساوم" في تكديس التحذيرات المناققة والنصائح البناءة على المهزومين. الضربة الناجحة كانت "مجيدة". كانت الضربات المهزومة إجرامية، ومجنونة، ولا معنى لها، وفوضوية. الانتفاضة المهزومة كانت حماقة، أعمال شغب وهمجية وغباء. باختصار، "المساوم" يدفعه ضميره السياسي وحكمته السياسية إلى الانزعاج أمام الجانب الذي هو الأقوى في الوقت الحالي، لعرقلة طريق المقاتلين، مما يعيق جانبا واحدا ثم الآخر، لتخفيف حدة النضال. ولإضعاف الوعي الثوري للشعب الذي يخوض كفاحا يائسا من أجل الحرية». (لينين: انتصار الحزب الدستوري الديمقراطي (الكاديت) ومهمات حزب العمال)

لنواصل. سيكون من المناسب للغاية في هذه المرحلة الاقتباس من الشروحات في قضية الدكتاتورية الموجهة ضد السيد ر. بلانك. في عام 1906، عرض ر. بلانك، في صحيفة منشوية بالفعل، وإن كانت غير حزبية من الناحية الرسمية، (جريدة حياتنا - نع) آراء المناشفة وأشاد بجهودهم "لتوجيه الحركة الاشتراكية-الديمقراطية الروسية إلى الطريق الذي تتبعه الحركة الاشتراكية-الديمقراطية العالمية بأسرها بقيادة الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني العظيم".

بعبارة أخرى، اعتبر ر. بلانك، شأنه شأن حزب الكاديت، البلاشفة ثوريين غير منطقيين وغير ماركسيين ومتمردين، إلخ، مقارنة بالمناشفة "العقلاء"، وقدم الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني كحزب منشفي أيضا. هذه هي الطريقة المعتادة عند الاتجاه الاجتماعي الليبرالي العالمي والسلمي، إلخ، الذين يجدون، في جميع البلدان، الإصلاحيين والانتهازيين، الكاوتسكيين واللغويين، بوصفهم اشتراكيين "عقلاء" على عكس "جنون" البلاشفة.

ولقد كنت أجب السيد ر. بلانك في الكراس المذكور أعلاه لعام 1906 كما يلي:

يقارن السيد بلانك بين فترتين من الثورة الروسية. تغطي الفترة الأولى تقريبا من أكتوبر إلى ديسمبر 1905. هذه هي فترة الزوبعة الثورية. والثانية هي الفترة الحالية، والتي يحق لنا

بالطبع أن نسمةا فترة انتصارات حزب الكاديت في انتخابات مجلس الدوما، أو ربما، نجازف بالتقدم في القول، فنسمةا فترة مجلس دوما حزب الكاديت.

يقول السيد بلانك فيما يتعلق بهذه الفترة، إن دور الفكر والعقل قد جاء مرة أخرى، وأصبح من الممكن استئناف الأنشطة الحوارية والمنهجية والمنظمة. من ناحية أخرى، يصف السيد بلانك الفترة الأولى بأنها الفترة التي اختلفت فيها النظرية عن الممارسة. اختلفت كل مبادئ وأفكار الاشتراكية-الديموقراطية. لقد تم نسيان التكنيك الذي طالما دافع عنه مؤسسو الاشتراكية-الديموقراطية الروسية، وتم اقتلاع ركائز النظرة الاشتراكية-الديموقراطية إلى العالم.

إن تأكيد السيد بلانك الرئيسي لا يزيد عن كونه مجرد اعلان عن الواقع التالي: نظرية الماركسية برمتها ابتعدت عن "الممارسة" في فترة "الزوبعة الثورية". هل هذا صحيح؟ ما هي "الركيزة" الأولى والأساسية في الماركسية؟ إنها تقوم في كون البروليتاريا، في المجتمع المعاصر، هي الطبقة الوحيدة الثورية تماما، وبالتالي الطبقة المتقدمة في كل ثورة. فالسؤال إذن هو: هل اقتلعت الزوبعة تلك "الركيزة" من نظرة الاشتراكية-الديموقراطية للعالم؟ بالعكس، فقد أكدتها بأكثر وضوح. لقد كانت البروليتاريا هي المقاتل الرئيسي، وكانت في البداية، المقاتل الوحيد تقريبا في تلك الفترة. ولأول مرة في التاريخ، تتميز ثورة برجوازية باستخدام سلاح بروليتاري خالص، أي الإضراب السياسي الجماهيري، على نطاق غير مسبوق حتى في البلدان الرأسمالية الأكثر تقدما. لقد اندفعت البروليتاريا إلى معركة ثورية بكل تأكيد، في وقت كان فيه السيدان ستروفه وبلانك يطالبان بالمشاركة في مجلس دوما بوليفين وأساتذة حزب الكاديت يحثون الطلاب على مواصلة دراستهم. ولقد ظفرت البروليتاريا، بواسطة سلاحها البروليتاري، لروسيا بكامل ذلك "الدستور" المزعوم، والذي جرى، في الحين، تشويهه وتقويضه وتقليصه. لقد اعتمدت البروليتاريا، في أكتوبر 1905، ذلك التكنيك النضالي الذي رسمه قرار المؤتمر البلشفي الثالث لحزب العمال اشتراكي-الديموقراطي الروسي، قبل ستة أشهر، والذي أكد بشدة على ضرورة الجمع بين الإضراب السياسي الجماهيري والانتفاضة. وهذا المزيج هو الذي ميز كامل فترة "الزوبعة الثورية"، كامل الربع الأخير من عام 1905. وهكذا شوه منظرينا من البرجوازية الصغيرة الواقع بأكثر

الطرق جراً ووقاحة. فلم يقدم دليل واحد يثبت أن النظرية الماركسية بعدت عن التجربة العملية في فترة "الزوبعة الثورية". وإنما كان هنالك سعي لإخفاء السمة الرئيسية لهذه الزوبعة، والتي أكدت ببراءة صحة "جميع مبادئ الاشتراكية-الديمقراطية وأفكارها" و"جميع ركائز النظرة الاشتراكية-الديمقراطية للعالم".

ولكن ما هو السبب الحقيقي الذي دفع السيد بلانك إلى التوصل إلى خلاصة خاطئة بشكل فظيع مفادها أن جميع مبادئ الماركسية وأفكارها قد اختفت في فترة "الزوبعة"؟ من المفيد أن نهتم بدراسة هذه الحالة، فهي تكشف حقيقة الطبيعة العممية في السياسة.

ما الذي ميز بشكل رئيسي فترة "الزوبعة الثورية" عن فترة "حزب الكاديت" الحالية من حيث أشكال نشاط السياسي المختلفة والأساليب المختلفة التي يصنع بها الشعب التاريخ؟ أولاً وأساساً، لقد جرى، خلال فترة "الزوبعة"، استخدام طريقة خاصة لصنع التاريخ غريبة عما يجري في فترات أخرى من الحياة السياسية. وفيما يلي أهم تلك الأساليب: (1) "استيلاء" الناس على الحرية السياسية وممارستها دون أي حق أو قانون، ودون أي قيد (حرية التجمع، حتى ولو في الجامعات فقط، وحرية الصحافة، حرية تكوين الجمعيات، عقد المؤتمرات، إلخ). (2) إنشاء أجهزة جديدة للسلطة الثورية من قبيل سوفيات نواب العمال والجنود وعمال سكك الحديدية والفلاحين، سلطات ريفية وحرية جديدة، وما إلى ذلك وهلم جرا. ولقد أُلّف هذه الأجهزة الأقسام الثورية من الشعب حصراً. وقد جرى تأليفها بطريقة ثورية تماماً ودون اعتبار لجميع القوانين والأوامر فكانت بمثابة ثمرة عبقرية الشعب الأصيلة وكمظهر من مظاهر نشاطه المستقل وقد تخلص من قيود البوليس القديمة. أخيراً، لقد كانت بالفعل أجهزة سلطة رغم طبيعتها البدائية والعفوية وغير المكتملة والمشنتنة في التركيبة والنشاط. لقد تصرفت كحكومة، عندما استولت، على سبيل المثال، على مصانع الطباعة (في سانت بطرسبرغ)، واعتقلت ضباط الشرطة الذين كانوا يمينون الثوار من ممارسة حقوقهم (حدثت مثل هذه الحالات أيضاً في سانت بطرسبرغ، حيث كانت السلطة المعنية، الجهاز الجديد، هي الأضعف، وحيث كانت الحكومة القديمة أقوى). لقد تصرفت كحكومة عندما ناشدت الشعب بأسره حجب الأموال عن الحكومة القديمة، وصادرت أموال حكومة القديمة (لجان إضراب سكك الحديد في الجنوب) واستخدمتها لسد احتياجات الحكومة

الشعبية الجديدة. نعم، لقد كانت دون شك بمثابة جنين حكومة شعبية جديدة، أو إن صح التعبير، حكومة ثورية. لقد كانت، من حيث طابعها الاجتماعي والسياسي، أساس دكتاتورية العناصر الثورية من الشعب. هذا يفاجئكم، أيها السيدان بلانك وكيزويتز! ألا تريان هنا "الأمن المعزز"، الذي تعتبره البرجوازية دكتاتورية؟ قلنا لك أن فعلا لا تملك أدنى فكرة عن مفهوم «الدكتاتورية» العلمي. سنشرح لك ذلك لاحقا. لكن قبل ذلك، سنتناول "الطريقة" الثالثة للنشاط في فترة "الزوبعة الثورية": استخدام الشعب القوة ضد أولئك الذين استخدموها ضده.

تمثل أجهزة السلطة التي وصفنا جنين الدكتاتورية، لأنها لم تعترف بأي سلطة أخرى، ولا بقانون ولا بمعايير، بغض النظر عن ألفها. فعندما تكون السلطة غير محدودة وخارجة عن القانون ومستندة إلى القوة بالمعنى الأصلي للكلمة فهي الدكتاتورية. لكن القوة التي قامت عليها هذه السلطة الجديدة، والتي سعت إلى تأسيس نفسها، لم تكن قوة البنادق التي افتكتها حفنة من العسكريين، وليست سلطة "قوات الشرطة"، ولا قوة المال، ولا قوة أية مؤسسة أقيمت سابقا. لم يكن أمرها من ذلك القبيل. فلم تكن أجهزة السلطة الجديدة تملك لا أسلحة ولا أموالا ولا مؤسسات قديمة. أيها السيدان بلانك وكيزويتز، أيمكنكم تصور كيف أن أجهزة السلطة الجديدة ليس لديها أي شيء مشترك مع أجهزة السلطة القديمة ولا مع "الأمن المعزز"، إذا ما كنا نفهم من الأمن المعزز ذلك الذي تألف لحماية الشعب من طغيان البوليس وأجهزة النظام القديم الأخرى.

إذن، إلى ما كانت تستند السلطة؟ لقد كانت تستند على جماهير الشعب. وهذه هي الخاصية الرئيسية التي ميزت هذه السلطة الجديدة عن جميع ما سبق من أجهزة النظام القديم. فقد كانت هذه الأخيرة أدوات حكم الأقلية للشعب، حكم الأقلية للجماهير العمال والفلاحين. أما الأولى فقد كانت أداة حكم الشعب، حكم العمال والفلاحين، للأقلية، لحفنة من متمردي الشرطة. لحفنة من النبلاء المميزين والمسؤولين الحكوميين. هذا هو الفرق بين الدكتاتورية على الشعب ودكتاتورية الشعب الثوري: ضع جيدا علامة على هذا، السيد بلانك والسيد كيزويتز! كدكتاتورية الأقلية، كان النظام القديم قادرا على الحفاظ على نفسه فقط بمساعدة أجهزة الشرطة، فقط من خلال منع جماهير الشعب من المشاركة في

الحكومة، ومن الإشراف على الحكومة. ظلت السلطة القديمة لا تثق بالجمهير، وتخشى النور، وتحافظ على نفسها بالخداع. بصفتها دكتاتورية الأغلبية الساحقة، حافظت السلطة الجديدة على نفسها واستطاعت أن تحافظ على نفسها فقط لأنها تمتعت بثقة الجماهير الغفيرة، فقط لأنها، بأقصى حرية وأوسع نطاق وأشد حزم، جندت كل الجماهير في المهمة. ولم تخف تلك الحكومة شيئاً، ولم يكن لديها أسرار، ولا أنظمة، ولا شكليات. ففي الواقع قالت: أعامل أنت؟ هل تريد القتال لتخليص روسيا من عصابة الشرطة المتوحشة؟ أنت رفيقنا. انتخب نائبك. انتخب الآن، فوراً، أيا كان تعتقد أنه الأفضل. سنقبله عن طيب خاطر وبكل سرور كعضو كامل العضوية في سوفييننا لنواب العمال، ولجنة الفلاحين، ونواب السوفييت، وما إلى ذلك. لقد كانت سلطة مفتوحة للجميع، نفذت جميع وظائفها أمام أعين الجماهير، وكانت في متناول الجماهير، انبثقت مباشرة من الجماهير، وكانت أداة مباشرة وفورية للجماهير الشعبية، لإرادتهم. هكذا كانت السلطة الجديدة، أو على وجه الدقة، جنينها. لكن السلطة القديمة داست، بانتصارها، على براعم هذا النبتة الفتية جداً.

ربما، سيد بلانك أو السيد كيزويتز، سوف تسأل: لما «الدكتاتورية»، لما «القوة»؟ هل من الضروري أن نستند إلى جماهير هائلة القوة ضد حفنة؟ هل يمكن لعشرات ومئات الملايين أن يكونوا دكتاتوريين على ألف أو عشرة آلاف؟

عادة ما يطرح هذا السؤال أشخاص الذين يسمعون لأول مرة بمصطلح «الدكتاتورية» يستخدم في معنغريبعنهم. لقد اعتاد الناس على رؤية سلطة الشرطة فقط ودكتاتورية الشرطة فقط. ففكرة أن من الممكن أن تكون هناك حكومة دون أية شرطة، أو أن الدكتاتورية يجب ألا تكون دكتاتورية بوليسية، تبدو فكرة غريبة عندهم. تقول لا يحتاج الملايين إلى القوة ضد الآلاف؟ أنت مخطئ؛ وخطأك ينبع من حقيقة أنك لا تنظر إلى ظاهرة في عملية تطورها. تنسى أن السلطة الجديدة لا تسقط من السماء، بل تكبر وتنشأ بالتوازي مع السلطة القديمة ومعارضة لها وفي محاربتها. ما لم يتم استخدام القوة ضد الطغاة المدعمين بالسلاح وأدوات القوة، لا يمكن تحرير الشعب من الطغاة.

وهذا تشبيه بسيط للغاية، أيها السيدان بلانك و كيزويتز، سيساعدكم على استيعاب هذه الفكرة، والتي تبدو بعيدة جداً و «رائعة» عند عقل حزب كاديت. لنفترض

أفراوموفيجرح ويعذب سبيريدونوفا. ولنقل، إلى جانب سبيريدونوفا، هناك عشرات ومئات من الناس العزل. من جانب أفراوموفهاك حفنة من القوزاق. ماذا سيفعل الناس لو تم تعذيب سبيريدونوفا، ليس في زنزانة ولكن في مكان عام؟ سيلجأون إلى القوة ضد أفراوموفوحارسه الشخصي. ربما يضحون ببعض رفاقهم وقد أسقطهم أفراوموف، لكن على المدى الطويل سوف يزعجون بالقوة سلاح أفراوموف وقوزاقه، وعلى الأرجح سيقتلون على الفور بعض أولئك الوحوش في هيئة بشر، كانوا يصفقون بالباقي في سجن لمنعهم من ارتكاب المزيد من الاعتداءات ولحاكمتهم أمام الشعب.

هكذا تريا، أيها السيدان بلانك وكيزويتز، عندما يعذب أفراوموفوقوزاقه سبيريدونوفا،فذلك دكتاتورية عسكرية وشرطية على الناس. وعندما يلجأ شعب ثوري (أي شعب قادر على محاربة الطغاة، وليس فقط على التحريض والتأييد والندم والإدانة والأين والنحيب، ليس شعبا ضيق الأفق بل ثوريا) إلى القوة ضد أفراوموف،فهذه دكتاتورية الشعب الثوري. إنها دكتاتورية، لأنها سلطة الشعب على أفراوموف، وهي سلطة غير مقيدة بأية قوانين (ربما يعارض النافهون النافهون إنقاذ سبيريدونوفا من أفراوموف بالقوة، معتقدين أنها ضد "القانون". لا شك في أن يسأل: هل هناك "قانون" يسمح بقتل أفراوموف، ألم يقم بعض العقائدين العميين ببناء نظرية "لا تقاوموا الشر"؟).

لا يعني مصطلح «الدكتاتورية» العلمي سوى سلطة لا يقيدتها أي قانون، ولا تقيدها مطلقا أية قواعد مهما كانت، وتستند مباشرة إلى القوة. فليلاحظ السادة المحترمين في حزب الكاديت جيدا أن ليس لمصطلح «الدكتاتورية» من معنى سوى ما ذكرنا آنفا.

ثم إننا نرى، في المقارنة التي رسمنا آنفا، دكتاتورية الشعب، لأن الناس، جماهير السكان، غير المنظمة، المتجمعة "عرضيا" في مكان معين، وتواجدت في الساحة بملء إرادتها، ومارست العدالة وفرضت العقوبة، ومارست السلطة وخلقت قانونا ثوريا جديدا. أخيرا، إنها دكتاتورية الشعب الثوري. لماذا الثوري حصرا وليس كل الشعب؟ لأنه من ضمن مجمل الناس الذين يعانون باستمرار من أشد قسوة ووحشية من جانب آل أفراوموف، هناك البعض الخائفين والمدعورين. وهناك البعض الذي انخط أخلاقيا بسبب مذهب "لا تقاوموا الشر"، على سبيل المثال، أو ببساطة انخط لا بسبب المذهب، وإنما بسبب الأفكار

المسبقة والعادة والرتابة. وهناك أناس غير مباليين، عدميين، برجوازيين صغار يميلون أكثر إلى الابتعاد عن النضال شديد أو حتى إلى إخفاء أنفسهم (خوفا من التورط في القتال والتعرض للأذى). فلهذا السبب ليس كل الشعب يمارس الدكتاتورية، وإنما يمارسها الشعب الثوري الذي، رغم ذلك، لا يتجنب التعامل مع كل الشعب، ويشرح لجميع الناس دوافع أفعالهم بكل تفاصيلها، ويعبء عن طواعية كل الشعب لا فقط في "إدارة" الدولة، بل وفي حكمها أيضا، وفي الواقع في تنظيم الدولة.

وهكذا فإن مقارنتنا البسيطة تحتوي على جميع عناصر المفهوم العلمي «للدكتاتورية الشعب الثوري»، وكذلك مفهوم «دكتاتورية الجيش والشرطة». يمكننا الآن الانتقال من هذه المقارنة البسيطة، التي يمكن حتى لأستاذ في حزب الكاديت المتعلم فهمه، إلى التطورات الأكثر تعقيدا في الحياة الاجتماعية.

الثورة بمعنى الكلمة الدقيق والمباشر، هي مرحلة في حياة الشعب عندما يتحول الغضب المتراكم خلال قرون من وحشية أفراموف إلى أفعال، وليس مجرد كلمات، في تصرفات الملايين من الناس وليس الأفراد فقط. فينهض الناس ويهرعوا إلى تخليص أنفسهم من أفراموف. وينقذ الناس أعدادا لا حصر لها من أمثال Spiridonovas في الحياة الروسية من آل أفراموف، ويستخدمون القوة ضد آل أفراموف، ويفرضون سلطتهم على أفراموف. وطبيعي ألا يحدث بهذه السهولة، وليس "كل شيء دفعة واحدة"، كما بسطنا الأمر في المقارنة التي قمنا للأستاذ كيزويفر. إن نضال شعب ضد أفراموف، نضال بمعنى الكلمة الدقيق والمباشر، فما قام به الشعب من إلقاء آل أفراموف من على ظهره، إنما هو فعل يمتد على مدى أشهر وأعوام من "الزوبعة الثورية". هذا التصرف الذي قام به الناس بإلقاء آل أفراموف من على ظهورهم هو المضمون الحقيقي لما يسمى بالثورة الروسية الكبرى. وهذا الفعل، من وجهة نظر أساليب صنع التاريخ، جرى في الأشكال التي كنا وصفناها للتو في عرض الزوبعة الثورية، وهي أن السكان استولوا على الحرية السياسية، أي الحرية التي منعهم آل أفراموف من ممارستها. وخلق الشعب سلطة ثورية جديدة، سلطة على آل أفراموف، على طغاة نظام الشرطة القديم. واستخدم السكان القوة ضد آل أفراموف من

أجل إزالة هذه الكلاب السائبة ونزع سلاحها، وجميع Avramovs و Durnovos و Mins و Dubasovs وما إلى ذلك، إلخ.

هل من الجيد أن يعتمد الناس أساليب النضال غير القانونية وغير النظامية وغير المنهجية وغير المنتظمة مثل الاستيلاء على حريتهم وإنشاء سلطة ثورية جديدة غير معترف بها رسمياً، وبالتالي يجب أن تستخدم القوة ضد مضطهدي الشعب؟ نعم إنه لأمر جيد جداً. فهو المظهر الأسمى لكفاح الشعب من أجل الحرية. ويمثل ذلك تلك الفترة العظيمة التي تتحقق فيها أحلام الحرية التي يعتز بها أفضل رجال روسيا ونسائها، فتصبح الحرية قضية جماهير الشعب وليس مجرد أبطال مفردين. إنه جيد مثلما هو كذلك إقناذ الناس (في مقارنتنا) لسبريدونوفا من آل أفراموف، ونزع سلاح آل أفراموف بالقوة وجعله غير ضار.

ولكن هذا يقودنا إلى محور الأفكار والتخوفات الخفية عند حزب الكاديت. حزب الكاديت هو إيديولوجي العدمية. لأنه على وجه التحديد ينظر إلى السياسة، إلى تحرير الشعب بأسره، إلى الثورة، بعين نفس العدمي الذي، في مقارنتنا، ينظر إلى تعذيب أفراموف لسبريدونوفا. فهو سيحاول أن يصد جمهور الناس وسينصحهم ألا يخالفوا القانون، وألا يتسرعوا في إقناذ الضحية من جلاده، لأن الأخير يتصرف باسم القانون. في مقارنتنا، من الطبيعي، سيكون ذلك العدمي وحشاً من الناحية الأخلاقية. لكن في الحياة الاجتماعية ككل، ونكرر القول، أن الوحش العدمي ليس فرداً، بل ظاهرة اجتماعية، مشروطة، ربما، بأفكار مسبقة عميقة الجذور للنظرية العدمية البرجوازية في القانون.

لماذا يعتبر السيد بلانك أنه من البديهي أن جميع المبادئ الماركسية قد جرى نسيانها خلال فترة "الزوبعة"؟ لأنه يشوه الماركسية بمذهب برنتانوس، إذ يعتبر أن "مبادئ" من قبيل الاستيلاء على الحرية وتأسيس السلطة الثورية واستخدام الشعب القوة ليست مبادئ ماركسية. تتخلل هذه الفكرة كامل مقال سيد بلانك. وليس السيد بلانك على وجه الحصر، وإنما مقالات الجميع في حزب الكاديت وجميع الكتاب في المعسكر الليبرالي والراديكالي الذين يمتدحون اليوم بليخانوف لولعه بحزب الكاديت. جميعهم، بما في ذلك البرنشتاينون في جريدة «دون عنوان»، وبروكوفيتشيس وكوسكوفاس والجميع.

لننظر كيف نشأ هذا الرأي ولما كان لا بد من أن ينشأ.

لقد نشأ مباشرة من البرنشتاينية، أو بعبارة أعم، من المفاهيم الانتهازية عند الاشتراكيين-الديموقراطيين الغربيين. لقد كان الماركسيون "الأرثوذكس" في أوروبا الغربية يفضحون مغالطات تلك المفاهيم بطريقة منهجية وعلى طول الخط. وها أن الآن يجري تهريبها إلى روسيا "على نحو خبيث" وفي زي مختلف وفي مناسبة مختلفة. لقد قبل البرنشتينيون الماركسية ولا يزالون لكن دون طابعها الثوري المباشر. إنهم لا يعتبرون النضال برلماني سلاحا مناسباً بشكل خاص لفترات تاريخية محددة، وإنما يعتبرونه شكل النضال رئيسي والوحيد تقريبا مما يجعل "القوة" و"الاستيلاء" و"الدكتاتورية" غير ضرورية. فما يجري حالياً تهريبه إلى روسيا على أيدي أنصار بلانك وغيرهم من مداحي بليخانوف الليبراليين هو هذا التشويه المتبدل والعمدي للماركسية. ولقد اعتادوا على هذا التشويه حتى أنهم اعتقدوا أنه ليس الضروري إثبات أن مبادئ الماركسية وأفكارها كان قد جرى نسيانها في فترة الزوبعة الثورية.

لما لا بد لمثل هذا الرأي أن يظهر؟ لأنه يتفق على نحو جيد مع مكانة البرجوازية الصغيرة ومصالحها الطبقيّة. يتفق إيدولوجيي المجتمع البرجوازي "المثالي" مع جميع الأساليب التي استخدمها الاشتراكيون الديمقراطيون في نضالهم باستثناء تلك التي يلجأ إليها الثوريون في فترة "الزوبعة" والتي يوافق عليها الاشتراكيون الديمقراطيون الثوريون ويساعدون على استخدامها. تتطلب مصالح البرجوازية أن تشارك البروليتاريا في النضال ضد الاستبداد، ولكن فقط بطريقة لا تؤدي إلى سيادة البروليتاريا والفلاحين، ولا تقضي تماماً على القديم، الإقطاعي-الأوتوقراطي وأجهزة الشرطة في سلطة الدولة. تريد البرجوازية الحفاظ على هذه الأجهزة، فقط عن طريق فرض سيطرتها المباشرة عليها. فهي في حاجة إليها ضد البروليتاريا، التي سيكون نضالها أكثر من اللازم لو جرى إلغاء تلك الأجهزة بأكملها. هذا هو السبب في أن مصالح البرجوازية كطبقة تتطلب كلا من الملكية والمجلس الأعلى، وتجنب دكتاتورية الشعب الثوري. فالبرجوازية تقول مخاطبة العمال: حاربوا الأوتوقراطية، لكن لا تلمسوا أجهزة سلطة الدولة القديمة، لأنني في حاجة إليها. حاربوا بطريقة "برلمانية"، أي ضمن الحدود التي سترسم بالاتفاق مع النظام الملكي. حاربوا بمساعدة المنظمات، لكن ليس منظمات مثل لجان

الإضراب العام، وسوفييتات نواب العمال والجنود، وما إلى ذلك، ولكن بمنظرات معترف بها ومقيدة وضامنة لرأس المال بموجب قانون سنقوم بتقريره بالاتفاق مع الملكية.

من الواضح، إذن، لما تتحدث البرجوازية عن فترة “الزوبعة” بازدراء واحتقار وغضب وحقد. في حين تتحدث بنشوة وغبطة وولع عدمي لا حد له عن... الرجعية، عن الفترة الدستورية باعتبارها محمية بواسطة دوبا سوف. مرة أخرى، هذه الخاصية الثابتة والدائمة عند حزب الكاديت: السعي إلى الاستناد على الشعب والخوف من مبادرته الثورية في ذات الوقت.

من الواضح أيضا لماذا تخشى البرجوازية كل تلك الخشية المميته تكرر “الزوبعة”، ولماذا تتجاهل وتحجب عناصر الأزمة الثورية الجديدة، ولماذا تغذي الأوهام الدستورية وتنشرها بين الناس.

وهكذا نكون قد أوضحنا على نحو شامل سبب إعلان السيد بلانك وأمثاله أنه في فترة “الزوبعة” جرى نسيان جميع مبادئ الماركسية وأفكارها. ككل العدميين، يقبل السيد بلانك الماركسية دون طابعها الثوري. فهو يقبل الأساليب الاشتراكية-الديموقراطية في النضال وقد طرح منها جانبا أكثر الأساليب ثورية ومباشرة.

إن موقف السيد بلانك من فترة “الزوبعة” مميز للغاية فهو بمثابة توضيح لاختراق البرجوازية في فهم الحركات البروليتارية، والخوف البرجوازي من النضال محتد والفاصل، وكره البرجوازية لكل مظهر من مظاهر الطريقة الراديكالية والثورية المباشرة في حل القضايا التاريخية والاجتماعية، والتي تفكك المؤسسات القديمة. لقد فضح السيد بلانك نفسه وكل ضيق أفقه البرجوازي. فقد صادف أن بلغه أن الاشتراكيين-الديموقراطيين ارتكبوا “أخطاء” في فترة الزوبعة، فسارع إلى الاستنتاج والإعلان، وكله ثقة بالنفس، وبنبرة لا تقبل أي تناقض ولا تحتاج إلى برهان، أنه جرى “نسيان مبادئ الماركسية” (التي ليس لديه أدنى فكرة عنها!). ونلاحظ، فيما يتعلق بهذه “الأخطاء”: هل مرت فترة في تطور الحركة البروليتارية، في تطور الاشتراكية-الديموقراطية، لم تقع فيها أخطاء، ولم يكن هناك انحراف إلى اليمين أو إلى اليسار؟ ألا يعج تاريخ الفترة البرلمانية من النضال ذي خاضه الحزب

الاشتراكي الديمقراطي الألماني - الفترة التي يعتبرها جميع البرجوازيين ضيق الأفق في العالم أجمع الحد الأقصى - بمثل هذه الأخطاء؟ فلو لم يكن السيد بلانك جاهلا تماما بقضايا الاشتراكية، لكان من السهل التذكير بمولبرغر ودوهريغ وقضية إعانات الشحن ومجموعة "الشباب" والبرنشتاينية وغيرها كثير. لكن السيد بلانك غير مهتم بدراسة المسار الفعلي لتطور الحركة الاشتراكية-الديموقراطية. فكل ما يهيمه هو الخط من حجم النضال البروليتاري حتى يرفع من مستوى الهشاشة البرجوازية في حزب الكاديت.

في الواقع، لو درسنا القضية في ضوء الانحرافات التي قامت بها الحركة الاشتراكية-الديموقراطية في مسارها "العادي"، لرأينا، في هذا الصدد، أنه كان هناك تضامن وتكامل إيديولوجي أقوى، وليس أضعف، بين الاشتراكيين-الديمقراطيين في فترة "الزوبعة الثورية" مما كان لهم ذلك قبلها. فلم يؤدي التكتيك الذي تم اعتماده في فترة "الزوبعة" إلى تنافر جناحي الحزب الاشتراكي-الديموقراطي، بل قربها لبعضها. أفسحت الخلافات السابقة المجال لتوحيد الرأي حول قضية الانتفاضة المسلحة. وكان الاشتراكيون-الديمقراطيون من كلا الفصيلين يعملان في سوفيات نواب العمال، هذه الأجهزة الخاصة للسلطة الثورية الجنبية. لقد جذبوا الجنود والفلاحين إلى هذه السوفيات، وأصدروا بيانات ثورية بالاشتراك مع الأحزاب الثورية البرجوازية الصغيرة. أفسحت الخلافات القديمة في فترة ما قبل الثورة المجال للإجماع على القضايا العملية. دفع تصاعد المد الثوري الخلافات جانبا، وأجبر الاشتراكيين-الديمقراطيين على تبني تكتيك نضالي. لقد توارت قضية مجلس الدوما إلى الخلف، لتصبح قضية الانتفاضة على جدول الأعمال. وتقارب الاشتراكيون-الديمقراطيون والبرجوازيون الديمقراطيون الثوريون للقيام بمهام فورية. ففي جريدة صوت الشمال، دعا 121 منسفي إلى مشاركة البلاشفة في الإضراب العام والانتفاضة، ودعوا العمال إلى مواصلة هذا النضال حتى يستولوا على السلطة. الوضع الثوري نفسه طرح شعارات عملية. كانت هناك مجادلات فقط حول جوانب تفصيلية في تقييم الأحداث: على سبيل المثال، اعتبر تجريدة البداية سوفيات نواب العمال كأجهزة للحكم الذاتي المحلي الثوري، بينما اعتبرتهم جريدة الحياة الجديدة أجهزة جنبية لسلطة الدولة الثورية التي وحدت البروليتاريا مع الديمقراطيين الثوريين. فقد مالت تجريدة البداية نحو دكتاتورية البروليتاريا. دافعت جريدة الحياة الجديدة عن

دكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية. لكن ألم نلاحظ خلافات من هذا القبيل في كل مرحلة من مراحل تطور أي حزب اشتراكي في أوروبا؟ «إن تحريف السيد بلانك للحقائق وتشويهه الفادح للتاريخ الحديث لا يزيد عن كونه عينه من التفاهة البرجوازية الفجة، والتي تبدو في فترات الزوبعة الثورية حماقة («جری نسيان جميع المبادئ»، «حتى العقل كاد يتلاشى»)، في حين تبدو فترات قمع الثورة و«التقدم» العدمي (التي يمجها دوبا سوف) فترات نشاط معقول ومنظم ومنهجي. يمتد هذا التقييم المقارن لفترتين (فترة «الزوبعة» وفترة حزب الكاديت) في مقال سيد بلانك بأكمله. عندما يتقدم التاريخ البشري إلى الأمام بسرعة قطار، يسمي ذلك «زوبعة»، «اعصار»، «تلاشي المبادئ والأفكار» كلها. أما عندما يسير التاريخ بسرعة الخيل، يصبح أحسن مثال للعقل والمنهج. فعندما تبدأ جماهير الشعب بنفسها في صنع التاريخ وتشرع في وضع «المبادئ والنظريات» موضع التطبيق فوراً ومباشرة، بكل بدائيتها البكر والبسيطة وتصميمها القاسي، يصاب البرجوازي بالرعب ويصبح قاتلاً «إن العقل يتراجع إلى الخلف» (أليس العكس هو الحال يا أبطال عدمية؟ أليس عقل الجماهير، وليس الأفراد، هو الذي يغزو ساحة التاريخ في مثل هذه اللحظات؟ ألا يصبح الفكر الجماهيري في مثل هذا الوقت قوة حقيقية وفعالية دون حاجة إلى قوة أريكة فاخرة؟). أما عندما يجري سحق حركة الجماهير المباشرة بإطلاق النار والإجراءات القمعية والجلد والبطالة والمجاعة، وعندما تخرج جميع طفيليات أستاذة العلوم التي يمولها دوبا سوف من الشقوق وتشرع في إدارة الشأن العام نيابة عن الشعب، باسم الجماهير، فتبيع مصالح تلك الجماهير وتخونها لصالح قلة مميزة، عندها يعتقد فرسان العدمية أن حقبة من الهدوء والتقدم السلمي قد بدأت وأن «دور الفكر والعقل قد حان». يظل البرجوازي دائماً وفي كل مكان صادقاً مع نفسه: سواء تعلق الأمر بجريدة النجم القطبي أو جريدة الحياة الجديدة، سواء كنت تقرأ ستروفه أو بلانك، ستجد دائماً هذا التقييم ضيق الأفق، التقييم الأكاديمي المتحلق والبيروقراطي المهمل لفترات الثورة وفترات الإصلاح. كانت الأولى فترة الجنون، وتول الجاهر، واختفاء الذكاء والتعقل. أما الأخرى فهي فترة الأنشطة «المنتظمة والمنهجية».

لا تسيء فهم ما أقول. أنا لا أجادل في أن بلانك وأضراره يفضلون فترات على أخرى. وليس الأمر موضوع تفضيل. لا تحدد ميولاتنا الشخصية التغيرات في الفترات التاريخية.

فالأمر إنما يقوم في تحليل خصائص هذه الفترة أو تلك (بصرف النظر تماما عن ميولاتنا أو تعاطفنا)، فإن بلانك وأنصاره يشوهون الحقيقة دون حُجْل. فبيت القصيد هو أن الفترات الثورية فقط هي التي تتميز بكونها أوسع وأكثر ثراء ومدروسة وأكثر منهجية وأكثر انتظاما وأكثر شجاعة وحيوية في صناعة التاريخ من فترات التقدم عند العددي وحزب الكاديت والإصلاحي. لكن بلانك وأنصاره يقلبون الحقيقة رأسا على عقب!

إنهم يقدمون العبودية المطلقة كصنع للتاريخ رائع. إنهم يعتبرون عدم نشاط الجماهير المضطهدة أو المسحوقة انتصارا لـ"النظام" في عمل البيروقراطيين والبرجوازيين. إنهم يصرخون لاختفاء العقل والتعقل كلما، بدلا من انتقاء مسودات القوانين من قبل البيروقراطيين الصغار والصحفيين الليبراليين، تبدأ فترة من النشاط السياسي المباشر لـ"عامّة الناس"، الذين يشرعون في العمل، دون مزيد من اللغط، لتحطيم جميع أجهزة قمع الشعب والاستيلاء على السلطة وأخذ ما كان يعتبر ملكا لجميع أنواع سراق السكان. باختصار، عندما يستيقظ عقل ملايين الأشخاص المسحوقين، لا فقط لقراءة الكتب، بل للعمل، عمل بشري حيوي، لصنع التاريخ.» (لينين: انتصار الحزب الدستوري الديمقراطي (الكاديت))

لقد كان هذا هو الجدال الذي جرى في روسيا في عامي 1905 و 1906 في قضية الدكتاتورية. وفي الواقع، فإن ديتمان وكاوتسكي وكريسيين وهيلفريدنغ في ألمانيا ولونجيه وشركائه في فرنسا وتوراتي وأصدقائه في إيطاليا وماكدونالدز وسنودنز في بريطانيا، إلخ، إنما يجادلون في قضية الدكتاتورية تماما مثل السيد ر. بلانك. فقد قام بذلك حزب الكاديت في روسيا عام 1905. إنهم لا يفهمون ما تعنيه الدكتاتورية ولا يعرفون كيف يستعدون لها وهم غير قادرين على فهمها وممارستها.

20 أكتوبر 1920

نُشر في تاريخه حسب المخطوطة.